يدي حتى أتيت عليه من الدفّة إلى الدفّة. قرأته وكأنّني ما قرأت كتاباً بل وجدت رفيقاً أميناً في بيداء شاسعة كنت أسلكها وحدي، وفي حين كنت في أمسّ الحاجة إلى رفيق أمين. فقلت في نفسي: سبحان من بعث إنساناً مات في الصين منذ ألفين ونصف الألف من السنين ليكون رفيقاً لإنسان وُلد في لبنان وما كان يعرف عنه شيئاً! ثمّ سبحانه يجمعهما في فندق بمدينة فيلادلفيا من الولايات المتحدة الأميركيّة! حقاً إنّه الموجّه الأعظم وما من موجّه سواه.

★ ★ ★

هذه أمثلة قليلة سردتها لكم من حياتي وفي حياتي وحياتكم وحياة كلّ إنسان منها الشيء الكثير. ولست أريدكم أن تفهموا منها أنّني أدعوكم إلى الكفّ عن السعي والحركة. فأنتم لو شئتم الجمود لما استطعتم إليه سبيلاً. ولا بدّ لكم من الحركة لأنّكم بعض من عالم دأبه الحركة، سواء أكانت حركتكم مقاومة للحركة الكونيّة أم مطاوعة لها. وسواء أعلمتم أم جهلتم أنّ المقاومة عاقبتها الخيبة والألم، والمطاوعة نتيجتها النجاح والانشراح. فبالتجربة ستتعلّمون في النهاية ما كنتم تجهلونه في البداية. وإذ ذاك تطاوعون الكون عن فهم لا عن جهل، وعن رضًى لا عن كراهية.